الهوية الإسلامية وأثر العولمة على الجانب العقدي فيها

د. هاني بن علي البلوي

أستاذ العقيدة المساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك المملكة العربية السعودية

Islamic identity and the impact of globalization on its religious aspect

Dr. Hani ben Ali Albalawi

Assistant Professor of Doctrine, Department of Islamic Studies, Faculty of Education and Arts, University of Tabuk, Saudi Arabia

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى شرح مفاهيم الهوية والعولمة، وبيان مقومات الهوية الإسلامية، وأهمية الاعتزاز بها، وتوضيح مدى أهمية ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية والحفاظ على مقوماتها، إظهار تأثير العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في الألوهية والقضاء والقدر، وعرض أهداف العولمة الدينية، ولتحقيق هذه الأهداف استخدم الباحث المنهج الوصفي في معالجة موضوعات البحث، كما يهدف البحث إلى توضيح عالمية الإسلام وشهادات الغربيين عليها، وعرج البحث على الحديث عن ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية وكيفية المحافظة على مقوماتها. كما تناول البحث أهداف العولمة الدينية، وركز البحث على أثر العولمة في تغريب الهويَّة الإسلامية في الجانب العقدي، وقد توصل البحث إلى أن العولمة تؤثر سلباً على عقيدة المسلم، ومن هذه التأثيرات: التأثير في الهوية الإسلامية، كما توصل البحث إلى أنه لابد من وضع استراتيجية ثقافية إسلامية، وإبراز عالمية الإسلام وإنسانيته لمواجهة مخاطر العولمة العقدية.

Abstract:

This article aims to demonstrate the impact of globalization on Islamic belief, and the ways of dealing with it to reduce its effects. The study employs the descriptive approach to address the research topics, aiming to clarify the universality of Islam and the testimonies of Westerners on it. The study focuses on talking about the need to adhere to the Islamic identity and how to preserve its fundamentals. The study also deals with the objectives of religious globalization, focusing on the impact of globalization on the Westernization of the Islamic identity in the belief aspect. The study concludes that globalization negatively affects the Muslim beliefs. There are several influences. One of these influences is influencing the Islamic identity of Muslims. It is also concluded that an Islamic cultural strategy must be developed, and highlights the universality and humanity of Islam to confront the dangers of ideological globalization

Keywords: Globalization, identity, Doctrine, Islamic culture, West

الكلمات المفتاحية: العولمة، الهوية، العقيدة، الثقافة الإسلامية، الغرب.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.. أما بعد:

لقد شهدت الأمة العربية الإسلامية في السنوات الأخيرة غزوا ثقافيا واسع النطاق ينضوي تحت مظلة العولمة، حيث اخترق الأعراف والعادات والتقاليد العربية المتشبعة بالدين الإسلامي كما اخترق كل الميادين والمجالات، في ظل الثورة التكنولوجية الهائلة التي يشهدها عالمنا المعاصر والذي تتحكم في مفاتيحه القوة الأمريكية، وفي ظل مختلف الصراعات التي يشهدها عالمنا العربي الإسلامي سوف نحاول من خلال هذه الورقة معالجة الأثر العقدي للعولمة على الهوية الإسلامية للشعوب العربية المسلمة.

مشكلة البحث: تعد مشكلة الحفاظ على الهوية في المجتمعات الإسلامية من المشكلات الثقافية والتربوية الخطيرة، إذ تتعرض الهوية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، إلى طمس معالمها نتيجة هيمنة العولمة ووسائلها، فباتت شعائر الإسلام لا تظهر على كثير من أبنائها، لذلك لا بد من طرح آثار العولمة على الهوية الإسلامية عند المجتمعات المسلمة وكيفية التعامل معها وسبل التغلب عليها ومواجهتها.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف من أهمها:

١. إيضاح مفهوم الهوية والعولمة.
٢. بيان مقومات الهوية الإسلامية، وأهمية الاعتزاز بها.
٣. توضيح مدى أهمية ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية والحفاظ على مقوماتها.
٤. إظهار تأثير العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في الألوهية والقضاء والقدر.
٥. عرض أهداف العولمة الدينية.

أهمية البحث:

-إبراز العوامل التي أدت إلى انحراف الهوية الإسلامية عن مسارها الصحيح في ظل التحديات المعاصرة، وأثر العولمة على الجانب العقدي فيها.

-بيان أهمية الهوية الإسلامية وخطورة العولمة على عقيدة المسلم.

منهجية البحث: استخدم الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع مفهوم الهوية الإسلامية، وبيان مصادرها ومقوماتها، والمنهج الوصفي التحليلي لواقع أثر العولمة على المجتمعات المسلمة.

الدراسات السابقة:

- دراسة العنزي ٢٠١٧ هدفت إلى الكشف عن دور التربية في تعزيز الهوية الثقافية الوطنية في ضوء تحديات العولمة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك[١]، وتوصلت إلى عدة نتائج، من أهمها: جاءت استجابة أفراد عينة الدراسة لجميع محاور دور التربية في تعزيز الهوية الثقافية الوطنية في ضوء تحديات العولمة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بدرجة عالية.
- دراسة السليماني ٢٠١٧ هدفت إلى معرفة دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري[٢]، اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي الوثائقي من خلال النظر في الكتب والأدبيات والوثائق والمراجع المعاصرة المتعلقة بالهوية الإسلامية والغزو الفكري، وخلصت الدراسة إلى أبرز النتائج: تتميز الهوية الإسلامية عن غيرها من الهويات الأخرى بمرجعيتها الربانية. يهدف أعداء الدين الإسلام إلى القضاء على الإسلام من خلال طمس الهوية الإسلامية.
- دراسة كنعان ٢٠٠٨[٣] وتهدف إلى تحديد مشكلات الشباب المعاصر وبيان أسبابها والوقوف عند نظرة الشباب الجامعي لمفهوم الهوية الثقافية، وبيان أثر العولمة في الشباب مع تقديم رؤية مستقبلية. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن أبرز مشكلات الشباب المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأخلاقية.
- دراسة القرني ٢٠٠٨ وهدفت إلى بيان أخطار العولمة الثقافية على الهوية الإسلامية، وبيان مسؤولية المدرسة الثانوية في المحافظة على الهوية الإسلامية[٤]. ومن أبرز نتائجه: من أبرز مسؤوليات معلم المرحلة الثانوية حث الطلاب على اتباع منهج السلف الصالح، ومسؤولية إدارة المدرسة في حض الطالب على الالتزام بالقيم الإسلامية، وتتمثل مسؤولية التوجيه والإرشاد في تقديم نماذج تربوية من القدوات، ومسؤولية النشاط تبرز في تنظيم حلقات ومسابقات حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن خلال استعراض الباحث للدراسات السابقة والتي تتعلق بالهوية الإسلامية نجدها تتفق مع الدراسة الحالية في جوانب وتختلف معها في جوانب أخرى.

استفاد الباحث من خلال اطلاعه على الدراسات السابقة في جانبها النظري والمتمثل في الموضوعات التي تتعلق بالهوية الإسلامية ومقوماتها، والتأصيل المنهجي للهوية الإسلامية من منظور التربية الإسلامية وأصالتها وتفردها في ذلك.

خطة البحث:

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وأربعة مباحث هي:

التمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات البحث.

المطلب الأول: تعريف الهوية.

المطلب الثاني: تعريف العولمة.

المبحث الأول: مقومات الهوية الإسلامية والاعتزاز بها، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: مقومات الهوية الإسلامية.

المطلب الثاني: أهمية الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

المبحث الثاني: عالمية الهوية الإسلامية والعولمة الثقافية وشهادات غربية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عالمية الهوية الإسلامية.

المطلب الثاني: شهادات غربية على عالمية الإسلام.

المبحث الثالث: ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية والحفاظ على مقوماتها: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التمسك بالهوية الإسلامية.

المطلب الثاني: وسائل الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية:

المبحث الرابع: أثر العولمة في تغريب الهويَّة الإسلامية في الجانب العقدي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في الألوهية.

المطلب الثاني: أثر العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في القضاء والقدر.

المطلب الثالث: الأهداف الدينية للعولمة.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

التمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات البحث.

لقد أثّرت العولمة على كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية واللغوية حتى الدينية منها. فيحاول الباحث في هذا المبحث إبراز الهوية الإسلامية وتأثير العولمة على الجانب العقدي فيها ومخاطرها على العالم الإسلامي، قبل أن نبدأ في الكلام حول الهوية الإسلامية وتأثير العولمة فيها لابد لنا أن نبحث فى معنى الهوية والعولمة.

المطلب الأول: تعريف الهوية:

لا تسعفنا المعاجم اللغوية القديمة بإيضاح الدلالة الاصطلاحية لمعنى الهوية، ففي لسان العرب الهوية (بفتح الهاء) موضع يهوي عليه أي يسقط، وهي كذلك البئر والمكان المطمئن من الأرض[٥]. وفي القرآن الكريم وردت الهوية بمعنى الإسقاط والرجوع في آيتين الأولى قوله تعالى :﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، [إبراهيم: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، [الحج: ٣١].

وتعيد بعض المعاجم الحديثة أصل كلمة الهوية إلى الضمير المنفصل (هو)، ففي المنجد "الهوية: حقيقة الشيء أو الشخصية المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى هُو"(٦)، وإن كان الأمر كذلك فإن الهوية تكون بضم الهاء لا بفتحها.

أما الهوية بمعناها الاصطلاحي فهي تدور حول خصوصية الفرد وتميزه عن غيره، فعرفها الجرجاني بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"(٧). ويعرفها عبد الكريم بكار بأنها "مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص والترميزات التي تجعل أمة ما تشعر بمغايرتها للأمم الأخرى"(٨).

والهوية تكون للشخص بما ينفرد به عن الآخرين، وتكون للجماعة بصفات ومميزات وقيم ومقومات تميزها عن الجماعات الأخرى. وهنا فإننا نبحث بهوية الجماعة أي المشترك من الصفات والسمات العامة التي تميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم والحضارات.

وهوية الأمة الإسلامية نابعة من عقيدتها التي تميزها عن الآخرين وما نشأ عن هذه العقيدة من شعائر وقيم ثقافية وحضارية، أما الروافد اللغوية والجغرافية والعرقية فهي وإن كان لها دور في تشكيل الهويات الفرعية إلا أنها لا تشكل القاسم المشترك بين أبناء الأمة الإسلامية.

فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهره وحقيقته، ولما كان في كل شيء من الأشياء إنساناً أو ثقافة أو حضارة فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة.

والهوية في غاية الأهمية منها تنطلق المصالح، حيث إن الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح العامة والخاصة تفترض وجود الهوية.

المطلب الثاني: تعريف العولمة:

فالعولمة في اللسان العربي من العالم ويتصل بها فعل (عولم) على صيغة فوعل وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية ونلاحظ عن دلالة هذه الصيغة أنها تفيد وجود فاعل يفعل.

أما في الاصطلاح: فالعولمة تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساساً الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وديمغرافية صارمة – تحفظ كل ما يتصل بخصوصية الدولة وتفردها وتميزها عن غيرها – أما اللامحدود فالمقصود به العالم أي الكرة الأرضية.(٩)

فالهوية الإسلامية تعتمد على مقومات تميزها عن غيرها سأقوم ببيانها وإيضاحها فيما يلي:

المبحث الأول: مقومات الهوية الإسلامية والاعتزاز بها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقومات الهوية الإسلامية:

إذا كان لكل هوية أسسها ومقوماتها، فإن الهوية الإسلامية انفردت بمقومات تميزها عن سائر الهويات، وفيما يلي نشير إلى أهم هذه المقومات:

أولا: العقيدة الإسلامية، فهي شعار المسلم وينضوي تحت لوائها المسلمين جميعا مهما تعددت لغاتهم وتنوعت أصولهم وأعراقهم، والتوحيد هو أساس فكر وسلوك المسلم وهو مصدر نهضته وحضارته، قال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُون ﴾، [الأنعام: ١٦٢].

ثانيا: التاريخ المشترك للأمة، والذي ساهم فيه أبناء الإسلام جميعا، فمنذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية تعددت أصول قادتها الفاتحين من الفرس والبربر والكرد بالإضافة إلى العرب، وتاريخ الإسلام هو ملك المسلمين جميعا ساهموا في بناءه وكانوا جزءا منه، دون عصبية قبلية أو انتماء لعرق دون سواه، إذ أن استقامة أمر الجماعة تتم بصلاح أفرادها واندماج وثيق لا تنفصل فيه فردية عن جماعية.

ثالثا: التراث المشترك، والتراث هو "النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة، وأسبغت عليها من ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها"(١٠).

رابعا: الوحدة الثقافية بين المسلمين، وهي نابعة من المقومات السابقة ومستندة إليها، فالأمة الإسلامية يجمعها فكر مشترك في طبيعة الحياة وصيرورتها. وهي واجهت قديما وحديثا سيل من الفلسفات والأفكار والاتجاهات كانت تهدف التشكيك بعقائدها ولكنها في كل حال منها صمدت واستطاعت المحافظة على عقائدها وشعائرها.

ولا شك أن هناك عددا آخر من المقومات الفرعية المهمة في بناء الهوية الإسلامية، ولكنها برأينا لا تشكل قاسما مشتركا لجميع أبناء الأمة الإسلامية، ومنها اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي والتي حث الإسلام على تعليمها وتعلمها كوسيلة لفهم نصوص الشارع ومراده، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم"(١١).

أما العامل الجغرافي فلا يشكل أحد مقومات الهوية الإسلامية، وما بحثه الفقهاء من تحديد لدار الإسلام ودار الكفر إنما هو بمقياس الأمن والخوف، وفي ذلك يقول الصنعاني: "أن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر، وإنما المقصود هو الأمن والخوف"(١٢). بل كانت هناك مبادئ عليا في التسامح واحترام عقائد الآخرين، وحسن الجوار مما خلده الواقع في التطبيق العملي، وكان سبباً في اعتناق بعض الشعوب النصرانية وغيرها للإسلام، لما رأوه من عدل المسلمين الغالبين مما لم يرو مثله من قبل، بل وصل إلى أصقاع الدنيا كلها لم يكن المسلمون فيها غير عابري سبيل.

المطلب الثاني: أهمية الاعتزاز بالهوية الإسلامية:

لقد أراد الله العزة والتمكين لهذا الدين ونقل البشرية نقلة فكرية وحضارية، فكان الإسلام عنوانه والتمسك به أساس للعزة، فنحن لا نريد أن نخترع أو نبتدع لأنفسنا هوية جديدة، ولكننا نريد أن نستعيدها بعد أن فقدنا كثيرا من مظاهرها.

ولقد بحث جارودي قبل اعتناقه الإسلام وناقش بعمق مسألة الحوار بين الحضارات، وكان يؤمن في بداية الأمر بأن الحضارة الغربية ستقود البشرية إلى مستقبل مدمر ما لم تنسجم مع الحضارات الأخرى. ثم اعترف بأن السر يكمن في الدين لأن الدين هو طريق للتفكير والاعتقاد، وفيما كان جارودي يبحث عن نظام أخلاقي وعقائدي جديد قادر على جمع الديانات التوحيدية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وجد ذلك النظام في الإسلام، لأن الإسلام هو الدين الذي يقبل بالديانتين الأخريين. وكان جارودي قد اطلع من قبل على الإسلام والمجتمع الإسلامي وهويته، حتى كتب أول مقالة له بعنوان "المساهمة التاريخية للحضارة الإسلامية العربية" ((١٣)).

إنه بقدر ما تتجلى فينا الهوية الإسلامية وتمسكنا بعقيدتنا يأخذ كل فرد منا صفة القدوة فهي سجية للمسلم توجه سلوكه في نفسه ونحو خالقه، إن أثر من سبقونا واعتزازهم بهويتهم لا زالت آثاره ومعالمه باقية إلى وقتنا هذا، وهذا يوجه المسؤولية إلى كل فرد منا للقيام بدوره تجاه هويته وشخصيته الإسلامية.

وفي أوائل البعثة المحمدية، وعي التاريخ كلمة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لنجاشي الحبشة حين أرسلت إليه قريش تطلب تسليم المهاجرين الأولين، فقال جعفر: "أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنعبده وحده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ... فصدّقناه وآمنّا به، وأتبعناه فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا،

وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان... "(١٤).

وها هم من يتمسكون بهويتهم الإسلامية يوصمون بالرجعية في إيمانهم وهويتهم الإسلامية التي حملت هذه القيم العليا التي تعطي وتهب للإنسان قيمته ومعناه.

المبحث الثاني: عالمية الهوية الإسلامية والعولمة الثقافية وشهادات غربية: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عالمية الهوية الإسلامية:

العلاقة بين الثقافة والهوية هي علاقة تبادلية، فقد تتعدد الثقافات داخل الهوية الواحدة كما قد تتعدد الهويات داخل الثقافة الواحدة، فالهوية الإسلامية مثلا تضوي تحتها ثقافات أمم وشعوب شتى دخلت الإسلام وآمنت برسالته.

فالهوية الإسلامية هي هوية إنسانية منفتحة تجمع ثقافات وتقاليد لأعراق وشعوب عدة هي بمجموعها تشكل الهوية الجامعة للأمة، فهي هوية عالمية إنسانية وليست عنصرية للون أو عرق، كما أنها ليست استعلائية فلا تفاضل ولا تفضيل لثقافة على أخرى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، [الحجرات:١٣]، وتميز الهوية الإسلامية لا ينفي اشتراكها بخصائص إنسانية مشتركة مع هويات أخرى(١٥).

كما أن الهوية الإســـلامية لا تنفي غيرها من الهويات الفرعية، فقد يكون للمســـلم هوية ثقافية معينة بجانب هويته الإسلامية، فالإسلام هو دين عالمي لا يختص ولا يقتصر على عرق أو شعب من الشعوب أو أمة من الأمم وإنما هو للناس كافة.

والإسلام بدعوته العالمية إنما يحترم التنوع الحضاري والثقافي للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾، [الروم:٢٢]. ومن ذلك ما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران، فجاء في المعاهدة "ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية وبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين"(١٦).

والقرآن الكريم يأمر المسلمين إلى الاعتراف بالآخر وحسن التعامل معه في شتى مجالات الحياة ما دام هذا الآخر لم يبدأ المسلمين العداء، قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، [الممتحنة: ٨].

وقد استمر التنوع الثقافي طيلة الحضارة الإسلامية فحافظت المجموعات العرقية المختلفة على لغاتها وثقافاتها، فكانت الآرامية والسريانية لغة النصارى في الشام والعراق والقبطية لنصارى مصر، كما حافظ مسلمو فارس على لغتهم وثقافتهم، فلا يوجد إلغاء ولا استعلاء بل تعايش وسلام.

ومع شيوع وسائل الاتصال الحديثة في الربع الأخير من القرن العشرين، ظهرت العولمة كأيدلوجية تدعو لوحدة الحضارة العالمية ونشر القيم الاستهلاكية والأنماط الثقافية الغربية، وما فيها من إرادة لهيمنة الثقافة الغالبة وسعي إلى إلغاء جميع الهويات التي تقابلها وسلبها خصوصيتها وتميزها، وتعميم ما تحمله الثقافة الغالبة من نمط ثقافي على كافة الشعوب والثقافات وهي الثقافة الغربية. فالعولمة عكس العالمية تسعى إلى إشاعة نمط ثقافي معين وتلغي الثقافات الأخرى، ففيها معنى القهر والإخضاع للثقافة الغالبة، فالقيم هي قيمها والشرائع هي شرائعها، يتم فيها إقصاء الآخر وتذويب هويته وإرغامه على تبني الثقافة الغالبة(١٧).

إن الإسلام يرفض مبدأ الهيمنة لثقافة على ثقافة أخرى، فهو دين الناس كافة، وهو دين العدل والرحمة، وهو دين التسامح والقيم الفاضلة. ومن القيم التي وضعها الإسلام في علاقته مع الآخر:

-وحدة الجنس البشري، فالناس جميعا تجمعهم أخوة النسب الإنساني قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾، [النساء: ١].

-الكرامة الإنسانية، والتي يتساوى فيها الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾،]الإسراء: ٧٠]

- حرمة النفس الإنسانية، فلا يجوز قتل نفس بغير حق، حيث يتساوى الناس جميعا في دمائهم وأعراضهم وأموالهم، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، [المائدة: ٣٢].

-حرية الاعتقاد، فلا إكراه لأي إنسان على دخول الإسلام، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، [البقرة: ٢٥٦].

-العلاقات بين الناس إنما أساسها الأخلاق الكريمة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾، [آل عمران: ١٥٩]، وقال صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١٨).

-كل ما في الأرض من خيرات إنما خلقت من أجل منفعة الناس جميعا، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾، [البقرة: ٢٨].

-مسؤولية الفرد عن عمله، فلا يؤاخذ إنسان على فعل غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ، [الأنعام: ١٦٤].

-إقامة العدل وتحريم الظلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾، [النساء: ١٣٥].

-الحض على العفو واغتفار زلات الآخرين، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾، [البقرة: ١٠٩].

ولا شك أن الهوية الإسلامية سوف تتجلى في تصرفات الفرد وأفكاره وتصوراته ومعاملاته، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون ﴾، [البقرة:]١٣٨، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "أَيْ صِبْغَةُ اللَّهِ أَحْسَنُ صِبْغَةٍ وَهِيَ الْإِسْلَامُ، فَسُمِّيَ الدِّينُ صِبْغَةً اسْتِعَارَةً وَمَجَازًا مِنْ حَيْثُ تَظْهَرُ أَعْمَالُهُ وَسِمَتُهُ عَلَى الْمُتَدَيِّنِ، كَمَا يَظْهَرُ أَثَرُ الصَّبْغِ فِي الثَّوْبِ"(١٩).

وبالحديث عن عالمية الهوية الإسلامية نجد أن الأمة الإسلامية لا تعيش منغلقة على نفسها بمعزل عن سائر الأمم والشعوب، وقد وضع كتّاب الإسلام لأمتهم أصولاً ومبادئاً للتعامل مع غيرهم في حدود ما أمر الله به من العدل والتقوى والتسامح وحسن الجوار.

ولذلك كانت مزاياه المتصف بها المسلم والتي تبرهن على شخصيته وهويته عالمية لا تتعلق بتعامله مع نفسه، وإنما في التعامل مع الناس جميعا تحت الأوامر والنواهي يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، [النساء: ٥٨].

ولقد انعكس هذا التعامل على الكثير من أصحاب الديانات الأخرى بل كانت هذه الهوية الإسلامية العالمية الصادقة سببا رئيساً لدخولهم في هذا الدين من منطلق سماحته والدعوة إليه، وحدا بالكثيرين من المستشرقين وغيرهم بتسجيل شهادات إعجابهم بهذه الصورة والهوية العالمية التي تميز بها.

المطلب الثاني: شهادات غربية على عالمية الإسلام

١. يشهد العلامة الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" على الفخار بأنه أول دين أدخل إلى العالم التوحيد والعدل والإحسان فيقول: "والإسلام خال من مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض ...وساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم وبتلك المزايا نفسر سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام ... كما نفسر به السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أو مغلوبة "(٢٠).

٢. يشهد الفيلسوف المسيحي بايل، فيما نقل عنه جوستاف لوبون فيقول: "إن من الضلال أن يعزى انتشار الإسلام السريع في أنحاء الدنيا، إلى أنه يلقي عن كاهل الإنسان ما شقّ عليه من التكاليف والأعمال الصالحة ... فقد دوّن قائمة طويلة بالأخلاق الكريمة والآداب الحميدة عند المسلمين التي تحلوا بها من مكارم الأخلاق وابتعدوا فيها عن العيوب والآثام"(٢١).

٣. يقول روبرتسون في كتابه "تاريخ شارلكان": "إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى. فهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بعقائدهم الدينية".

٤. ويقول الراهب ميشو في كتابه "رحلة دينية إلى الشرق": "ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة"(٢٢).

٥. تقول ديبورا بوتر: "...الإسلام ليس دينا جديدا من عند محمد ولكنه عندما انتشر في الأرض بعد مضي ستمائة عام على صعود المسيح -عليه السلام- إلى السماء، نشر ثانية الوحي الذي تجسد في الأديان السماوية السابقة، وأعاده الله إلى أصله النقي الصافي. فجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله -عليهم السلام- كانوا مسلمين ورسالتهم كانت واحدة دائما... الإسلام نظام عالمي ودين كوني جاء لجميع الناس في كل العصور. ولم يحدث أن أقر الإسلام أية تفرقة بسبب العرق أو الوطن أو الثقافة أو الطبقة فكل مؤمن بالحقيقة مسلم يتمتع بالأخوة الإسلامية مع كافة الناس في كل عصر ومصر، وهذا هو سر قوة الإسلام"(٢٣).

٦. أما إرنست رينان المؤرخ والمستشرق الفرنسي فيقول: "ما دخلت مسجدا قط، دون أن تهزني عاطفة حادة، وبعبارة أخرى: دون أن يصيبني أسف على أنني لم أكن مسلماً".

كل هذه الأمثلة والشهادات التي جاءت حتى على ألسنة هؤلاء المستشرقين وغيرهم ممن كادوا بالإسلام وأهله إن دلت فإنما تدل على قوة الهوية الإسلامية التي تمثلت فيمن قام بالانتماء إليه حقيقة الانتماء وطبق ما فيه بصدق فعجز أولئك إلا أن يقولوا في دين الله كلمة الحق رغماً عنهم.

المبحث الثالث: ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية والحفاظ على مقوماتها: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التمسك بالهوية الإسلامية:

الهوية الإسلامية بمرجعيتها العقائدية، هي ما يمنح المجتمع المسلم حياته وقيمه وأفكاره للقيام بواجب الخلافة التي استأمن عليها.

إن الاختلاف بين البشر هو سنة الله وإرادته في الحياة، فلكل أمة شريعتها ومقصدها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾، [الحج: ٦٧]. فلكل أمة هويتها وفكرها وثقافتها الخاصة، وكذلك الأمة الإسلامية لها هويتها وشريعتها وثقافتها، والتي عليها إظهار تميزها بها فهو الطريق الحق المستقيم، طريق العلي القدير، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، [الفاتحة: ٦ – ٧]، فالتمسك والاعتزاز بالهوية الإسلامية متحتم على كل مسلم موحد على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي ليكون شعارا للأمة الإسلامية.

لقد كان للتمسك بالهوية الإسلامية أعظم الأثر في انتشار الإسلام وجذب الناس لتحولهم إليه، ولم يكن نشر الإسلام من عمل الرجال وحدهم، بل لقد قامت النساء المسلمات المتمسكات بهويتهم الدينية ببذل الجهد لجذب الكثيرين إلى صفوف الإسلام.

المطلب الثاني: وسائل الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية[٢٤]:

١. تعزيز الهوية بأقوى عناصرها، وهو العودة إلى الإسلام الحقيقي، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، [المنافقون: ٨]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية وتقوية الصلة بالله واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم وبذلوا أسباب النصر، فالهزيمة الحقيقية هي هزيمة الإنسان من الداخل، أما إذا عززت الهوية ولم تستسلم من الداخل فإنها تستعصي ولا تقبل الذوبان.

٢. إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته، وعدالته وحضارته وثقافته، وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم.

٣. العناية باللغة العربية في مناهج التعليم لدى النشأ من خلال القرآن الكريم ووسائل الإعلام، وتحبيبها لهم.

٤. العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد بشتى الطرق وأن ننهض للتغيير الإيجابي يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾، [الرعد: ١١].

٥. تقليص الخلافات بين المسلمين وتحجيمها بين الشعوب والجماعات بالاعتصام بكتاب الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾، [آل عمران: ١٠٣]، فإنه ومن خلال الوقائع المشاهدة في عصرنا هذا، أنه ليس هناك أضر من الاختلاف والفرقة بين المسلمين لإضعاف الهوية الإسلامية وتقويضها.

٦. أن تقوم الوسائل الإعلامية الملقاة على عاتقها نهضة الهوية الإسلامية بتحسين صورتها وإعطاء الصورة السوية والحقيقية التي لا تشوبها الشوائب ودحض الشائعات والدفاع عن الشخصية المسلمة السوية.

٧. تنشيط التفاعل والحوار الثقافي الإسلامي مع ثقافات الأمم الأخرى، وأن نثري ثقافاتنا الإسلامية بما ينفعها ويحمي صفها ويدعمها ونبين للآخرين ما عندنا من تراث وتقاليد وقيم تحترم الآخر وتحسن معاملته.

٨. دعم ذوات الآخرين بأن يجوب داخل البلاد الإسلامية وخارجها لتحسين هذه الهوية الإسلامية وإزالة ما علق في أذهان الآخرين من شوائب ألحقها أعداء الدين.

المبحث الرابع: أثر العولمة في تغريب الهويَّة الإسلامية في الجانب العقدي، وفيه ثلاثة مطالب:

إن العولمة لها أخطار جسدية على الهوية الاسلامية، أنها تعمل على إضعافها وتشكل تحديا كبيرا على العقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية وغيرها، وكلها تؤثر سلبا على الهوية الإسلامية. وذلك من خلال الآتي:

المطلب الأول: أثر العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في الألوهية:

أكد الدين الإسلامي على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعبادته ينبغي التأكيد عليه كدين، سيما في جانبها الثقافي –وبالتالي الإسلام في عصر العولمة – يخشى عليه من أية تيارات فكرية طالما فهمه المسلمون فهماً صحيحاً، وأدركوا أهدافه النبيلة وغاياته السامية وجوهره الحقيقي إدراكاً واعياً وأن تكفل بحفظه، فماذا يكون جوهر الإسلام الحقيقي إذ لم يكن قائماً على حقيقة وجود الله تعالى وإفراده بالعبادة وما يترتب على هذه الحقيقة من مسوؤليات.(٢٥)

تقدم يمكن القول العولمة المعاصرة في جانبها الثقافي هي تطور مسخ للنظام الرأسمالي الذي يقوم على أسس مادية منفصلة كلياً عن القيم والأخلاق، وكذلك فالعولمة المعاصرة تقوم أيضا على أسس مادية معادية للقيم والأخلاق، بل إنها معادية للإنسانية ومن ثم تتجاوز الإنسانية لتضعف العلاقة مع الله، بإيمانها بما هو موجود ومحسوس ورفضها الغيبيات من منطلق حضارة الغرب التي تعطي الأولوية للعلم كأداة نحو التقدم، وتضع العقل البشري في انفصال شبه نهائي عن الإرادة الإلهية، بحيث ينتفي دور الإيمان الذي يعطي أبعادا

للعلم وتتخبط بفضله العلاقات الإنسانية مع نموذج الوجود الذي تدعو إليه التعاليم الدينية، والتي تدعو إلى وحدة العلم والحكمة أو المعرفة والإيمان، وعلى تحقيق توازن عملي بين الحاجات المادية والإيمانية للإنسان والجماعة معا.

وهكذا، تضافرت كافة الإبداعات العلمية في مسيرة مجنونة لإضعاف العلاقة مع الله وصياغة عقيدة جديدة حملت لواءها الرؤية الرأسمالية للعالم، تلك الرؤية التي جعلت من العالم وسيلة سيطرة، وجعلت القبول به على هذا النحو حالة إيمانية(٢٦) .

إن العولمة الثقافية تسعى إلى تهميش عقيدة الألوهية، وذلك بإضعاف صلة العبد بربه، وتصور نظرة المؤمن للحياة. بأنها قائمة على أساس مادي، ولا بقاء أو وجود للجانب المعنوي أو الإيماني فيها، وأنها تضع الإنسان في موقف محير، تدفعه إلى التمركز حول ذاته، بحيث يكون في صراع داخلي ثنائي الاتجاه، يتمثل بدعوة العولمة الثقافية إياه إلى التحرر من كافة القيود والتسليم بالواقع الجديد والقبول به دون مناقشة، واتجاه آخر يدفعه إلى إعادة التفكير بحقيقة وجوده والغاية التي خلق لأجلها وهي عبادة الله عز وجل، الأمر الذي يدفعه إلى تعظيمه وتقديسه وتأليهه، متجاهلاً كل الدعوات التي جاءت بها العولمة في قناعها الذي يستهدف جوهر الثقافة والمتمثل بعقيدة المؤمن ودينه.

المطلب الثاني: أثر العولمة الثقافية على عقيدة المسلمين في القضاء والقدر:

يزعم أعداء الإسلام أن الإيمان بالقدر هو سر تخلف المسلمين وقعودهم عن اللحاق بركب الحضارة المادية، مستدلين على ذلك بواقع المسلمين اليوم، حيث انتشر فيهم التخلف والفقر والجهل، وربطوا الإيمان بالقدر وواقع المسلمين، زاعمين أن القدر يدفع الناس إلى الكسل وترك العمل، تحت دعوى أن كل ما هو مقدر سيكون.

إن الأسباب الكامنة وراء تخلف المسلمين كثيرة منها داخلية ومنها خارجية، إذا كان الإيمان بالقدر من بين تلك الأسباب فمرد ذلك إلى الفهم غير الصحيح لهذا لركن العظيم من أركان الدين. إنه من غير الممكن أن يكون حال المسلمين مرده الإسلام نفسه، وإذا أراد هؤلاء أن يحاكموا الإسلام بالنظر إلى حال معتنقيه فليحاكموه بحال معتنقيه الأوائل من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكيف أنهم في فترة وجيزة فتحوا جزيرة العرب وخضعت لهم مملكتا فارس والروم، فلو كان الإيمان بالقدر هو سر تخلف المسلمين، لما وصل المسلمون في العهد الأول – وكانوا مؤمنين بالقدر – إلى ما وصلوا(٢٧) .

ولما كانت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في الإسلام من العقائد ذات الأهمية بين أركان الإيمان لارتباطها ارتباطا وثيقا بوحدانية الله تعالى وقدرته، فهو المصرف وحده لأمور الكون وكل شؤون الإنسان، عمد بعض المستشرقين إلى التشكيك في عقيدة القضاء والقدر بقولهم: إن هذه العقيدة فكرة إسلامية خاصة، وأن

المحمديين يقومون بتعليمها إلى شبابهم على أنه لا يصيبهم إلا ما قدر الله ودبر بإرادته، وزعموا أن الإسلام بهذه العقيدة كان سببا في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة، وكان دعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي للعمل اعتمادا على أن الله قدر كل شيء(٢٨).

وهكذا كان تغييب الإيمان بالقضاء والقدر عن الإنسان المعاصر هدراً لطاقاته الكامنة وإرهاقا لها حيث يجهل أن الله جل وعلا محيط بكل ما في هذا الوجود، وأن رزقه وأجله ومحياه ومماته مقدر من الله تعالى، فما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله، إلا أن العولمة الثقافية بأفكارها المسمومة تعمل على إفساد روح هذا الإنسان، وتدفعه إلى التشبث بهذه الدنيا، وتجعله غير قادر على مواجهة المصائب والأحداث يستسلم لها وينهار ومن ثم تنسيه الحكمة التي وجد أصلا من أجلها.

إن للعولمة الثقافية أثرا على عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين، من خلال إضعاف صلة المسلم بربه وإفقاده حقيقة التوكل عليه سبحانه وتعالى، ونشر الحضارة المادية، والتمسك بالدنيا والتشب بها، ونسيان الدار الآخرة بل وإنكارها.

كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والانسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافيا وفكريا، وهذه المفاهيم القرآنية الإسلامية الأساسية كلها تنقضها العولمة الثقافية من أصلها وهدمها من أساسها، فالكون في نظر العولمة ما هو إلا ميدان تنافس على المصالح الدنيوية، والإنسان دائب البحث عن ملذاته وشهواته ومنافعه، وليست الحياة سوى فرصة قصيرة لا ينبغي ان تضيع في غير اللذة والشهرة والجنس والمال والثروة والجمال، وليس وراءها شيء آخر، ولا يصح التفريق بين الناس على أساس عقائدهم فهم أمة واحدة في الإنسانية تجري عليهم أحكام واحدة لا يجوز بحال أن تتفاوت هذه الأحكام بسبب الدين أو العقيدة، وأن الحساب والآخرة والجنة والنار خرافة لا أساس لها من الصحة(٢٩).

المطلب الثالث: الأهداف الدينية للعولمة:

العولمة آتية من الغرب الصليبي الكافر الذي يعتمد الأنظمة والمفاهيم العلمانية اللادينية، يقول الدكتور جلال أمين: ''وهناك من يكره العولمة لا لسبب اقتصادي، بل لسبب ديني، فالعولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا، بل هي قد تنكرت للأديان كلها، وآمنت بالعلمانية التي لا تختلف كثيراً في نظر هؤلاء عن الكفر، ومن ثم ففتح الأبواب أمام العولمة هو فتح الأبواب أمام الكفر، والغزو هنا في الأساس ليس غزواً اقتصادياً، بل غزوا من جانب فلسفة للحياة معادية للدين، والهوية الثقافية المهددة هنا هي في الأساس دين الأمة وعقيدتها، وحماية الهوية معناها في الأساس الدفاع عن الدين"(٣٠).

فمن أهداف العولمة الدينية:

١- القضاء على التعليم الديني والثقافة الإسلامية.

٢-التشكيك في المعتقدات الدينية، وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي اللاديني الغربي، أو إحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية. ويمكن الإشارة إلى الوثيقة المسماة "الإستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوروبي في المتوسط"، والتي أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في يونيو سنة ٢٠٠٠م. وتشير الوثيقة صراحة إلى سعي الاتحاد إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية[٣١].

٣-استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحكم والتشريع، وعن التربية والأخلاق وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية والعلمانية البرجماتية.

ومن آثار العولمة في هذا الجانب: التحدي الخطير الذي تواجهه الشريعة الإسلامية من القوى المحلية العلمانية التي تتلقى الحماية الدولية المعنوية والمادية باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولقد انتشرت الجمعيات الأهلية المدعومة غربياً، التي تقوم بمحاربة الهوية الثقافية الإسلامية، وإثارة الشبه والشكوك حول النظم والتشريعات الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المرأة والرجل وقضايا المرأة المسلمة، وتطالب بعضها جهاراً نهاراً الحكومات والمجالس البرلمانية إصدار القوانين وفق مواثيق الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان بعيداً عن النظم والتشريعات الإسلامية.[٣٢]

٤-تحويل المناسبات الدينية إلى مناسبات استهلاكية، وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية، فعلى سبيل المثال: استطاع التقدم العلمي والتقني الحديث أن يحول شهر رمضان- شهر الصوم والعبادة والقرآن-وعيد الفطر خاصة من مناسبة دينية إلى مناسبة استهلاكية.

إن العقيدة الإسلامية تمثل عصب الهوية الإسلامية، فلا غنى عنها للفرد والمجتمع، وهي ضرورية لأنها تثبت الثقة والاطمئنان والسعادة في نفوس أبناء المجتمع؛ ليستقر وينهض في أبناء المجتمع ليستقر وينهض في شتى المجالات، والعقيدة هي حصن المؤمن الذي يقف سدا منيعا بين الأمة والمذاهب والأفكار والعقائد الفاسدة، فإذا تخلت الأمة عن عقيدتها وفرطت فيها، وترك تعاليمها وأهملت أخلاقها، أصبحت ضعيفة فريسة جاهزة لكل من يقتحم شخصيتها، ليزيل ذاتيتها وهويتها[٣٣]، ومن هنا أهتم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الجانب العقدي لتعميقه في نفوس أصحابه فمكث ثلاثة عشر عاما يعمق ويؤسس العقيدة في مكة المكرمة.

النتائج:

خلص البحث إلى أن للعولمة الثقافية أثرا مباشرا على العقيدة الإسلامية ويتمثل ذلك على النحو الآتي:

١.تشكل العولمة الثقافية خطورة كبيرة على عقيدتها في الألوهية في الإسلام من خلال نشرها الإلحاد والأفكار الضالة والعقائد المنحرفة، وإيمانها بما هو موجود ومحسوس ورفضها عالم الغيب، وتمييع قضايا الولاء والبراء، ومحبة المؤمنين للمؤمنين وكراهيتهم للكافرين، فالعولمة الثقافية تسعى إلى تهميش الدين وإضعاف صلة العبد.

٢.تؤثر العولمة الثقافية على الإيمان بالقضاء والقدر من خلال العمل على إضعاف ثقة المسلم بربه، وإفقاده حقيقة التوكل عليه سبحانه وتعالى، وبإضعاف الإيمان لدى المؤمن فإن العولمة الثقافية تضعف عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر لديه، وتدفعه إلى فقدان الثقة بالله، وعدم التوكل عليه.

٣.لا بد أن تتضافر الجهود لتأكيد وإعادة تعريف المسلمين بهويتهم الإسلامية وعدم الانحراف عن أصيل مبادئها ومقوماتها.

٤.من الأسباب التي أدت إلى طمس هوية المسلم الاختلاف بين المسلمين وتوجهاتهم، والتي تجاوزت مفهوم التنوع داخل الهوية الواحدة إلى الشقاق والنزاع.

٥.في معرفتنا للهوية الإسلامية وفهم ذاتنا نستطيع تضييق الهوة بيننا كمسلمين والآخرين من أتباع الديانات الأخرى.

٦.إن معرفتنا بمقومات الهوية الإسلامية وعالمية الرسالة المحمدية، يقودنا إلى فهم أفضل للأساليب الدعوية لتحقيق عالمية الرسالة وإيصالها للناس كافة.

هوامش البحث:

(١) العنزي، كوثر، ٢٠١٧، **دور التربية في تعزيز الهوية الثقافية الوطنية في ضوء تحديات العولمة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التربية وعلم النفس، جامعة تبوك.

(٢) السليماني، منال، ٢٠١٧، **دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري**، مجلة الدراسات العربية في التربية وعلم النفس، العدد ١.

(٣) كنعان، أحمد، ٢٠٠٨، **الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق**، دمشق، منشورات :دمشق عاصمة الثقافة العربية.

(٤) القرني، حسن، ٢٠٠٨، **مسؤولية المدرسة الثانوية في المحافظة على الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت: الطبعة الأولى، د.ت، ٣٧١/١٥.

(٦) لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٨٧٥.

(٧) الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى،١٩٩٩، ص ٢٥٧.

(٨) عبد الكريم بكار، **تجديد الوعي**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،٢٠٠٤، ص ٧٠.

(٩) خريسان، باسم علي، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٢٢.

(١٠) محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٢٦.

(١١) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ص ٣٥٠.

(١٢) علاء الدين الكاساني، **بدائع الصنائع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، الطبعة الثانية، ١٣١/٧.

(١٣) صلاح عبد الرزاق، **اعتناق الإسلام في الغرب أسبابه ودوافعه**، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص ١١٩.

(١٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٠، ج ١، ص ٣٦٠.

(١٥) محسن عبد الحميد، **مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها**، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٠، ص ٦٩.

(١٦)محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة،١٩٦٢، ص ١٧٦.

(١٧) عبد العزيز الدوري، **الهوية الثقافية والتحديات**، مقالة في كتاب الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: الطبعة الأولى،٢٠١٣، ص ٢٣٩.

(١٨) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد: ط١، ١٣٤٤هـ، ص١٤٥.

(١٩) أبو عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة: الطبعة الثانية،١٩٣٥، ١٤٤/٢.

(٢٠) جوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة: الطبعة الثانية،٢٠١٨، ص ١٥٨.

(٢١) المرجع السابق. ١٦٠.

(٢٢) المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٢٣) عماد الدين خليل، **قالوا عن الإسلام**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض: الطبعة الأولى ،١٩٩٢، ص١٦٤

(٢٤) جاسم مهلهل الياسين، **الهوية الإسلامية**، مؤسسة السماحة للنشر، الكويت: الطبعة الأولى،٢٠١٢، ص ٢٨٦.

(٢٥) محمد حمدي زقزوق، **الإسلام في عصر العولمة**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٢.

(٢٦) انظر: علي شامي، مرجع سابق، ٦٣.

(٢٧) داود علي الفاعوري، **أزمة الإنسان المعاصر من وجهة نظر الإسلام**، مجلة دراسات، المجلد التاسع عشر العدد الثالث، ١٩٩٢، ص ٣٢١.

(٢٨) الغالي، بلقاسم محمد، **الوجود المادي والوجود الغيبي في ضوء الإسلام**، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد، الثالث، ٢.

(٢٩) جاسر الديسي، **اثار العولمة على التربية المستقبلية**،٢٠١٠/١٢/٥م.

www.qassim.edu.gov.sa/edu/showthread،

(٣٠) جلال أمين، العولمة، دار المعارف، القاهرة، سلسلة اقرأ،١٩٩٨م، ص٤٦.

(٣١) محمد السيد سليم، **الإستراتيجيات المفاهيمية للعولمة وبدائله– آثار العولمة على العالم الإسلامي**، موقع الإسلام على الطريق(الإنترنت) ٢٠٠٣/٠٣/٣٠م.

(٣٢) غازي التوبة، **تطور خطاب دعاة التحرر في قضية المرأة المعاصرة**: ١٤٢٥/٠٧/٠٨هـ– ٢٠٠٤/٠٨/٢٤م .موقع لها أون لاين على شبكة المعلومات الدولية.

(٣٣)حسان، حسن عبد الغني، **الهوية الإسلامية: رؤية تأصيلية في ضوء التحديات المعاصرة** كلية الدعوة جامعة الازهر،٢٠١١، ص٢٧٥.

المراجع:

- العنزي، كوثر، ٢٠١٧، **دور التربية في تعزيز الهوية الثقافية الوطنية في ضوء تحديات العولمة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التربية وعلم النفس، جامعة تبوك.
- السليماني، منال، ٢٠١٧، **دور الأسرة في حفظ الهوية الإسلامية من خطر الغزو الفكري**، مجلة الدراسات العربية في التربية وعلم النفس، العدد ١.
- كنعان، أحمد، ٢٠٠٨، **الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق**، دمشق، منشورات :دمشق عاصمة الثقافة العربية.
- القرني، حسن، ٢٠٠٨، **مسؤولية المدرسة الثانوية في المحافظة على الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التربية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت: الطبعة الأولى، د.ت.
- لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى،١٩٩٩.
- عبد الكريم بكار، **تجديد الوعي**، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،٢٠٠٤.
- خريسان، باسم علي، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
- محسن عبد الحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
- ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٨.
- علاء الدين الكاساني، **بدائع الصنائع**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- صلاح عبد الرزاق، **اعتناق الإسلام في الغرب أسبابه ودوافعه**، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- ابن هشام، **السيرة النبوية**، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٩٠.
- محسن عبد الحميد، **مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها**، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٠، ص ٦٩.
- محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة،١٩٦٢.
- عبد العزيز الدوري، **الهوية الثقافية والتحديات**، مقالة في كتاب الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: الطبعة الأولى،٢٠١٣.

- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد: ط١، ١٣٤٤هـ.
- أبو عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة: الطبعة الثانية،١٩٣٥.
- جوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة: الطبعة الثانية،٢٠١٨.
- عماد الدين خليل، **قالوا عن الإسلام**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض: الطبعة الأولى ،١٩٩٢.
- جاسم مهلهل الياسين، **الهوية الإسلامية**، مؤسسة السماحة للنشر، الكويت: الطبعة الأولى،٢٠١٢.
- محمد حمدي زقزوق، **الإسلام في عصر العولمة**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.
- داود علي الفاعوري، **أزمة الإنسان المعاصر من وجهة نظر الإسلام**، مجلة دراسات، المجلد التاسع عشر العدد الثالث، ١٩٩٢.
- الغالي، بلقاسم محمد، **الوجود المادي والوجود الغيبي في ضوء الإسلام**، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الثاني، العدد، الثالث، ٢.
- جاسر الديسي، **اثار العولمة على التربية المستقبلية**، .م٥/١٢/٢٠١٠ www.qassim.edu.gov.sa/edu/showthread،
- جلال أمين، **العولمة**، دار المعارف، القاهرة، سلسلة اقرأ،١٩٩٨م.
- محمد السيد سليم، **الإستراتيجيات المفاهيمية للعولمة وبدائله– آثار العولمة على العالم الإسلامي**، موقع الإسلام على الطريق(الإنترنت) ٢٠٠٣/٠٣/٣٠م.
- غازي التوبة، **تطور خطاب دعاة التحرر في قضية المرأة المعاصرة:** ١٤٢٥/٠٧/٠٨هـ– ٢٠٠٤/٠٨/٢٤م .موقع لها أون لاين على شبكة المعلومات الدولية.
- حسان، حسن عبد الغني، **الهوية الإسلامية: رؤية تأصيلية في ضوء التحديات المعاصرة** كلية الدعوة جامعة الازهر،٢٠١١.